شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا اغور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين
الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوايجهم
فقط فالكلام كالملك المحجوب الغايب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها
وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزاين النفيسة وشراب
الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودوا الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره
الحكيم نبذه من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه
التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم
ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون
وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه
ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور
التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل
معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول
هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن يحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر
في صفاته وجلاله وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارضين وما بينهما
من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد
وان الكل في قبضة قدرته مرددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان
عاقب فبعدله وانه الذي يقول هولاء الى الجنة ولا ابالي وهولاء الى النار ولا ابالي وهذه غاية
العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث
حضور القلب وترك حديث النفس قيل في التفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد
واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرات
القران تحدث نفسك بشي فقال واي شي احب الي من القران احدث به نفسي كان بعض السلف
اذا قرا سورة ولم يكن قلبه فيها حاضرا اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم
فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس يعود ص
به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي
يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها وقد قيل ان في القران ميادين وبساتين ومقاصير وعرايس
وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القران والراآت بساتين القران والحامدات مقا
صيره والمسبحات عرايس القران والحاميمات ديباج القران والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك
فاذا دخل القاري في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الديباج
وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم
يتفرق قلبه التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر

على سماع

على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل
في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة
لا تدبر فيها فاذا لم يتمكن من التدبر الا بترديده فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر
اية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه
عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في اية قراها فهذا وسواس
فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل في امر الدنيا
فقال لان يختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي
واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما فيه والشيطان
لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال
ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله تعالى ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وسلم قرا
بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها لتدبره في معانيها وعن ابي
ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة باية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبا
دك وقام تميم الداري ليلة بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية وقام سعيد بن جبير
ليلة يرددها هذه الاية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض
ما اشهد فيها من الفراغ منها حتى يطلع الصبح وكان بعضهم يقول كل اية لا اتفهمها ولا يكون
قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع
ليال وخمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة
هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر
ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجرا فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة
ومسانهة الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل
على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين بهم وانهم
كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله تعالى فكقوله تعالى ليس
كمثله شي وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسما والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان
مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيا كتمه الناس الا ان يوتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على
طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران واعظم علوم
القران تحت اسماء الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لايقة بافهامهم ولم